إنــك لرجــل

ثكلتك أمك يا طُفيل إنك لرجل لبيب شاعر وما يخفى عليك الحسن من القبيح، فما يمنعك أن تسمع من الرجل ما يقول، فإن كان الذى يقوله حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته.

هذا ما قاله الطفيل بن عمرو الدوسى لنفسه لما قدم إلى مكة حاجاً وزائراً لبيت الله الحرام وكان من سادات قبيلة دوس ومن أشراف العرب المعدودين. شاعر متذوق لسحر الكلمة وقد اجتمع سادات مكة عليه محذرين إياه من أن يستمع إلى غلام بنى عبد المطلب وحتى لا يسحره بحديثه فلقد فرق بين الرجل وزوجته والابن وأبيه حتى خاف الطفيل من محمد ووضع فى أذنيه قطناً فيمنع حديثه من أن يسمعه أو يصل إليه وبعد فترة حدث نفسه بهذه الكلمات، فذهب إلى محمد ﷺ فى داره وقال له: لقد قال لى قومك عنك حديثاً أخافنى منك، فأعرض علىَّ أسمع منك فقرأ عليه الرسول ﷺ سورة الإخلاص والفلق.

فيقول الطفيل:

فوالله ما سمعت قولاً أحسن من قوله ولا رأيت أمراً أعدل من أمره، فبسطت يدى له وشهدت أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله..

إنه العقل لا يغيب... فالخير بيَّن والشر بين..

تلك الأصبع بألف سيف

هذا ما قاله القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى عن عابد البصرة وفقيهها محمد بن واسع الأزدى، المجاهد معه فى كل معاركه رغم أنه زين الفقهاء، وفى فتح بخارى وبلاد ما وراء النهر كان الجندى الفقيه العالم المجاهد..

صف قتيبة جيشه فى لقاء عدوه والذى كان أكثر منهم عدة وعداد حتى إمتلأت نفوس جيش المسلمين خشية وهيبه.. فأخذ قتيبة يشد العزائم ويشحذ الهمم وأراد من يساعده فى هذا فالتفت إلى من حوله سائلاً:

أين الفقيه محمد بن واسع الأزدى،

فقالوا له: إنه هناك فى الميمنة..

فقال: وما يفعل هناك.

فقالوا: إنه متكىء على رمحه، شاخص ببصره، يحرك إصبعه نحو السماء، أفندعوه لك..

قال: بل دعوه.. والله إن تلك الإصبع أحب إلى من ألف سيف شهير يحملها ألف شاب طرير اتركوه يدعو - فما عرفناه إلا مستجاب الدعوة.

هذا هو الرجل الذى نريده فعلاً الفقيه العالم المجاهد، وانتصر المسلمون به وبدعاءه.

يقول مؤرخ إنجليزى:

ـ لولا انتصار شارل مارتل الهمجى على المسلمين وقائدهم عبد الرحمن الغافقى لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولما تأخر سير المدنية فى أوروبا ثمانية قرون..

وقال الشاعر الإنجليزى «سودى» يصف جيوش المسلمين التى غزت أوروبا:

جموع لا تحصى. من عرب وبربر وروم خوارج، وفرس وقبط وتتار قد انضموا جميعاً تحت لواء واحد يجمعهم إيمان ثائر، راسخ الفتوة، وحمية متلظية كالشرر وأخوة مذهلة لا تفرق بين البشر..

ولم يكن قادتهم أقل منهم ثقة بالنصر بعد أن ثملوا بُحميا الظفر.. وأختالوا بتلك القوة القوية التى لا يقف أمامها شىء وأيقنوا أن جيوشهم لا يمكن أن يُلِمَّ بها الكلال فهى دائماً فتية شبوبة كما انطلقت أول مرة.

وآمنوا بأنها حيثما تحركت مشى فى ركابها النصر والغلب..

هذا الشعر من منظومة سودى الخاصة بآخر ملوك القوط فى أسبانيا.. من كتاب صور من حياة التابعين للأستاذ عبد الرحمن الباشا..

رجولة ليس لها إلا أبو دجانة

نادى الرسول ﷺ يوم أحد على من يأخذ سيفه.. «من يأخذه بحقه» فأحجم القوم إلا عمر بن الخطاب طلب فمنعه منه ثم قام الزبير بن العوام فطلبه فمنعه منه.. يقول الزبير: فوجدت ذلك فى نفسى حين سألته فمنعنيه وأنا ابن صفية عمته من قريش وقد قمت إليه وسألته إياه. فمنعنيه. فلما كانت الثالثة.. «من يأخذه بحقه».

فقام أبو دجانة.. سماك بن خرشه رضي الله عنه فقال:

يا رسول الله أنا آخذه بحقه.. فما حقه..

أن لا تقتل به مسلماً.. ولا تغربه عن كافر..

وكان إذا أراد القتال عصب رأسه بعصابة حمراء..

وهنا تسأل الأنصار.. أأخرج أبو دجانة لامته الحمراء فلما قيل لهم نعم.. قالوا لقد أخرج عصابة الموت.. فقال الزبير.. فخرج وأتبعته. فجعل لا يمر بشىء إلا أخراه (أى شقه) وهتكه حتى أتى نسوة فى سطح الجبل ومعهن هند وهى تقول:

نحن بنات طارق ... نمشى على النمارق

والمسك فى المفارق ... إن تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

فتحمل عليهم أبو دجانة.. فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد من قومها فانصرف عنها..

فقال له الزبير: لقد رأيت كل فعلك فأعجبنى غير أنك لم تقتل هذه المرأة التى كانت تنشد القرشين علينا.. لِمَ..؟

فقال أبو دجانة رضي الله عنه:

نادت فلم يجبها أحد من قومها، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها.. لا يفضل أبو دجانة رضي الله عنه عمر بن الخطاب ولا الزبير بن العوام رضي الله عنهم.. إلا أنها صدق اللحظة ولم يقل أحداً منهم.. آخذه بحقه ثم سأل مباشرة عن حقه.. فهل نحن فى زماننا هذا مؤهلون لحمل سيف رسول الله ﷺ بحقه.. وهل بيننا أبو دجانة الآن ليحمله بحقه..

وهل بيننا مثل هذا الرجل...

لا أرزأ أحد بعدك شيئاً أبداً

كلمة الحق تغير السلوك وتبدل الأهواء وتعدل الأخلاق من القبيح إلى الأجمل.

كانت هذه الجملة السابقة القسم الذى أقسمه الصحابى الجليل حكيم بن حزام رضي الله عنه لرسول الله ﷺ لما ذهب إليه يطلب مالاً يوم حنين، فأعطاه الرسول فكأنه إستقله، فقال يا رسول الله: زدنى، فزاده.

ثم راجع نفسه للحظة وعاد يسأل الرسول ﷺ عن أى العطيتين أفضل لأنه شعر فى شفافية نفسه بتغير فى العطاء الثانى عن الأول.

يا رسول الله. أى عطيتك خير..

قال: **«الأول»**.

- ثم أردف النبى قائلاً: **«يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفسى وحسن أَكْلَةٍ بورك له فيه ومن أخذه بإستشراف نفسى وسوء أكله لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع.. واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»**.

قال حكيم: ومنك يا رسول الله.

قال الرسول: **«ومنى»**.

قال حكيم: فوالذى بعثك بالحق، لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً أبداً..

وظل هذا خلقه حتى اللقاء الذى كان يتمناه وهو لقاء الحبيب فى الآخرة.

ويروى عن هذا الأمر أنه كان يخرج فى الجهاد مع الصديق والخطاب وعاش حتى خلافة معاوية، يرفض أخذ حقه فى الغنائم والأسلاب حتى أن الصديق وعمر بن الخطاب أشهدا الناس عليه.. نادى الفاروق يوماً على الناس فى المسجد.. فتعجل المؤمنين إليه فقال لهم:

أشهدكم على حكيم بن حزام أنى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له فى هذا الفيئ فيأبى أخذه..

فقالوا هذا رأيه منذ آخر عطاء أخذه من رسول الله ﷺ.

صدق مع الرسول ووفى بقسمه وعهده له منذ اللحظة التى سمع فيها الخير من الشر.. فلقد عاش خلافة الصديق وخلافة الفاروق وخلافة عثمان وخلافة على بن أبى طالب حتى خلافة معاوية بن أبى سفيان ولم يتأخر عن جهاد دعا إليه الخلفاء مادام قادراً، ولم يأخذ أى مال حتى قبض.

رضى الله عنه وعنهم أجمعين، رجال يتبدلون بكلمة الخير إلى الأفضل دون مكابرة أو عناد...